 DOI: http://dx.doi.org/10.18860/el.v22i1.7653

الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في إمارة إلورن-نيجيريا من خلال السيرة الذاتيَّة (عبرات الأمل) لعبد العزيز محمد سلمان الياقوتيّ

ATS-TSAQAFAH AL-'ARABIYYAH AL-ISLAMIYYAH FI IMARAT ILORIN-NIGERIA MIN KHILAL AS-SIRAH ADH-DZATIYYAH ('ABARAT AL-AMAL) LI 'ABD AL-'AZIZ MUHAMMAD SALMAN AL-YAQUTIY

Jamiu Saadullah Abdulkareem and Yaqub Alhaji Abdullahi
Department of Arabic, University of Ilorin, Nigeria
Email: abdulkareem.js@unilorin.edu.ng

ملخص:

تُعتبر الثقافة مجموعةَ العلوم والآداب والعادات والتقاليد الَّتي يتميَّز بها قوم أو شعب أو قبيلة من سواد العالم. وكانت إمارة إلورن النيجيريَّة تعتزُّ بثقافتها العربيَّة الإسلاميَّة الَّتي أتاحت لها سيادتها على عدد من البلاد والقرى الَّتي أسلمت تحت سيطرتها، ومن بعض تلك البلاد تكوَّنت إمارتها. وكتب الله لبعض أبنائها أن يخلِّدوا تلك الحقائق التاريخيَّة، ومنهم السيد عبد العزيز محمَّد سلمان الياقوتيُّ الَّذي أطال الكلام عن عادات إمارة إلورن وتقاليدها المنطبعة بدروس الكتاب والسنَّة وآثار السلف الصالح، وذلك بأسلوبه الفنيِّ في كتابة سيرته الذاتيَّة العربيَّة «عبرات الأمل». وسيقوم الباحثان بتحليل مضامين سيرته الناطقة بثقافة إلورن العربيَّة الإسلاميَّة من العبادات والمعاملات والشخصيَّات، حتى يبدو الصدق الفنيُّ في تأثُّر الكاتب ببيئته ويتحقَّق اهتمامه بعالم الواقع الَّذي يعيش فيه وبعالم الخيال الَّذي ينقله إلى الوجود بخصائص صياغته، وإحساساته الجماليَّة وانفعالاته العاطفيَّة. والمنهج المتَّبع يشمل التاريخيَّ والوصفيَّ. فالمنهج التاريخيُّ يكون في عرض نبذة

من تاريخ إمارة إلورن في ثقافتها العربيَّة الإسلاميَّة، ثُمَّ ترجمة حياة الكاتب «الياقوتيِّ». والمنهج الوصفيُّ يقوم بتحليل ملامح الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في إمارة إلورن كما نجدها في سيرة الكاتب «عبرات الأمل». وتوصل الباحثان في دراستهما إلى إقرار إسلاميَّة الثقافة العربيَّة في إلورن إمارةً وشعباً. وحاول الباحثان تفصيل الخطاب في بعض القضايا الشرعيَّة على ضوء تعاليم الكتاب والسنَّة والسلف الصالح.

Abstract:

Culture encompasses knowledge, civilization, tradition and norms owned by people of a group, state or nation. Ilorin Emirate of Nigeria has been known for its propagation of Arabic and Islamic culture which enhanced it a pride of place, especially by the people whose cities and villages were colonized by Ilorin for Islam or those whom it thought the Islamic values and jurisdiction. These facts were literarily documented by 'Abdul 'Aziz Muhammad Salman al-Yaqutiyy's Arabic autobiography entitled "The Tears of Hope". This article will research into the afore-stated facts based on the teachings of the Qur'an, Prophet Muhammad's tradition and jurists' verdicts. Indeed, the Islamism of the autobiography confirmed the Ilorin Emirate's Islamic way of life, inculcated in its citizens and being observed to have had impact on the writer's work. The methodology is both historical and descriptive. The historical method was used in shedding the light on the Islamism of Ilorin Emirate culture, then documenting the writer's biography. The descriptive approach was used in the discourse analysis of the work's ideational features on the Ilorin Emirate culture Islamism.

Keywords: *Arabic; Culture; Ilorin Emirate; Islam*

مقدمة

تتناول هذه المقالة ملامح الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في إمارة إلورن النَّيْجِيريَّة. وهي عبارة عن النظر في الظواهر الفكريَّة الثقافيَّة الَّتي أقرَّها الكاتب عبد العزيز محمَّد سلمان الياقوتيُّ في سيرته الذاتيَّة العربيَّة «عبرات الأمل»، حيث يبدو تأثُّره ببيئته الداخليَّة الَّتي نشَّأتْه قبل غيرها من البيئات الخارجيَّة. ولقضاء أوطار المقالة، سيتناول الباحثان الموضوعات الجانبيَّة التالية: إمارة إلورن وثقافتها العربيَّة الإسلاميَّة، وترجمة حياة الكاتب الياقوتيِّ، والتعريف الوجيز بالسيرة الذاتيَّة العربيَّة «عبرات الأمل» وتلخيص مضامينها، ثم ظاهرة الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة والإلورنيَّة في السيرة «عبرات الأمل»، فالخاتمة.

إمارة إلورن وثقافتها العربيّة الإسلاميّة

كانت إمارة إلورن تقع في جنوب نهر نَيْجر River Niger حيث تحدُّها شمالا مدينة جَبْبا الجنوبيَّة Jebba South. ومدينة بَيدَي Gbede جنوبا، وبلد غاما Ganmo شرقا، ومنطقة ألابا Alapa غربا. وتقع مدينة إلورن الَّتي تعتزي إليها الإمارة عاصمة لولاية كوارا (الثقافيُّ، ٢٠٠٩م: ص ١٩). وتشمل الإمارة خمس محافظات محليَّة هي آسا، وإلورن الجنوبيَّة، وإلورن الشرقيَّة، وإلورن الغربيَّة، ومَوْرَو.

ويسكن إمارةَ إلورن الهَوُسَويُّون والفُلانيُّون واليَوْرُبَويُّون والنُّوفَويُّون والبَرْنَويُّون، على الرغم من كون اسم المدينة الَّتي تحافظ على المحافظات كلِّها من اللغة اليَوْرُبَويَّة بمعنى إلَو أَيرِنْ Ilo Erin خمائل الفيل أو إلَو إيرِنْ Ilo Irin مشحذ الحديد الموجود في إحدى ديارها وهي دار بَنْدَيلَي Bandele (أحمد-إكَوْكَوْرَو، ١٩٩١م: ص ٢٣). وقد وفدوا إليها لشتَّى الأغراض من بين التجارة والدعوة، والتعليم العربيِّ الإسلاميِّ، وتأسيس الدولة الإسلاميَّة الَّتي تمَّتْ على يدي الشيخ عبد السلام الأمير الأوَّل نجل الشيخ صالح (عالم) بن جُنْتَ الفُلانيِّ. وكان تأسيس مدينة إلورن من أوَّل أمرها-والَّتي أسلمت لها مدن الإمارة وقراها أخيراً- منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلاديِّ (جِمْبا، ٢٠١٥م: ص ١٧).

ولا خلاف في أنَّ حامل لواء الدولة الإسلاميَّة في مدينة إلورن الَّتي اتَّسعت منها الرقاب إلى قراها، هو الشيخ صالح بن محمَّد بن جُنْتَ الملقَّب بعالم الَّذي أطلقه عليه ابن فَودِي، وكان يناديه بهذا اللقب دائما حتى يُتفرَّس أنَّ له مستقبلا باهرا ونجما لامعا في الدعوة إلى الله فأشار له بالتوجيه إلى جنوب نهر نَيْجَر، واجتاز بعض المدن لبلاد يَوْرُبا أمثال أَويَولَي وإسَينِْ وأَوبَوماشَو وإيْكَوي، ثم كُوهَو ومنها إلى إلورن، فضيَّفه أفَنْجا وزمرة من العلماء، حتَّى علماء ربوة السنَّة الَّذين تتلمذوا له أخيرا فأسَّسوا معه الدولة الإسلاميَّة (الإلوريُّ، ١٩٧٨م: ص ١٣٢).

وكانت البلدة مقسَّمة إلى أربعة أحياء قبل نزوله؛ وهي:

- حيُّ الفُلانيِّين الَّذين ضيَّفوا الشيخ عندهم، وزعيمهم رجل يسمَّى أَولُوفَدِي.
- حيُّ الهَوُسَويِّين التجُّار الَّذين هم شبه رُحَّل، ورئيسهم يدعى باكَو.
- حيُّ المسلمين في ربوة السنَّة، وهم مزيج من يَورُبا والبَرابِرة، وقائدهم يسمَّى شَولابَيرُو.
- حيُّ اليَوْرُبَويِّين الكفَّار، وزعيمهم الأوَّل أيَنْلا وهو فلَّاح صائد، ولما نزل أفَنْجا تنازل له عن الزعامة (الإلوريُّ، ١٩٧٨م: ص ١٣٤-١٣٥).

هكذا كانوا قبل نزول الشيخ عالم وبعده إلى أن توفِّي عام ١٨٢٣م الموافق سنة ١٢٣٦هـ، وذلك بعد ستَّة أعوام من نزوله، وبعد ذلك انتظمت المدينة واستقرَّ بها الأمن واستتبَّ فيها السلام، وزاد عدد سكَّانها الَّذين وفدوا إليها من كلِّ صوب سواءً من بلاد هَوُسا أو من بلاد يَورُبا، وشكَّل المسلمون الأغلبيَّةَ الساحقة بسكَّان المدينة. وازدحمت حضارتها السياسيَّة إلى جانب العلم والدين، واختارها بعض النخبة الممتازين من علماء هَوُسا وفُلاتة ونُوفِي ويَورُبا موطنا لهم إلى أن ماتوا بها (الإلوريُّ، ١٩٦٥م: ص ٥١ و١٠١).

وربوة السنَّة الَّتي هي قرية قريبة من إلورن تعتبر أوَّل معالم الحضارة الإسلاميَّة للإمارة، وقد تأسَّست منذ حوالي عام ١٧٠٠م، وكان جميع سكَّانها من المسلمين النازحين إليها من البلاد المجاورة (الإلوريُّ، ١٩٧٨م: ص ٣٤-٣٥).

ولم تكد قدم الإسلام تثبت في إمارة إلورن حتى تأثَّلت ثقافته فيها، وظهرت لها مدرستان عربيَّتان: أولاهما المدرسة القرآنيَّة للصغار، والأخرى مدرسة العلوم للكبار (المعهد). وتفتح القرآنيَّة لأطفال المسلمين صباح مساء في بيوت العلماء أو الأئمَّة الَّذين يلازمونهم حتَّى يكمِّلوا قراءة القرآن سردا من المصحف أو حفظا عن ظهر الغيب، ثُمَّ تقام لهم وليمة فاخرة يحضرها زملاء التلاميذ وآباؤهم ليشاطروهم الفرح ويرغِّبوا في مثل شأنهم، وقد يعود بعضهم تاجرا أو زارعا أو صانعا أو متماديا في التعلُّم والتعليم (بَبَأَوْيَي، ٢٠١٩م: ص ١٩-٢٠).

وتفتح مدرسة العلوم للكبار، حيث يتصدَّى للتدريس فيها الماهرون في قواعد العربيَّة وفي أصول الشريعة الإسلاميَّة، وتمثِّل مكانا خاصا في بيت العالم على الحصير، مع مقرَّرات التوحيد الأشعريِّ والفقه المالكيِّ والقصائد الوعظيَّة ومتون اللغة ومختار الشعر الجاهليِّ وفنون الأدب وأصول التفسير والمنطق والفلك (الإلوريُّ، ١٩٧٨م: ص ٥٢-٥٥).

ولقد كفانا عدد من المؤلفين بالعربيَّة والإنجليزيَّة واليَوْرُبَويَّة القدامى والمحدثين مؤونةَ الكتابة عن تاريخ إمارة إلورن في طرق معيشة أهلها ومتنوَّع صناعاتهم، ومختلف عاداتهم وتقاليدهم، ونظمهم السياسيَّة، والحضارة الإسلاميَّة، والثقافة العربيَّة، ومشاهير علمائها وإنتاجاتهم الشعريَّة والنثريَّة، العلميَّة منها والفنِّيَّة.

وأمَّا الثقافة العربيَّة فهي التعلُّم العربيُّ والأدبيُّ الإسلاميُّ، المنطبع بالفكر من آثار الشعر الخالد الرفيع، والخطابة البليغة، والكتابة الناضجة، الَّتي تخلق في الإنسان ملكة يقتدر بها الإنشاء البديع المنسجم نظما كان أو نثرا.

وكان من عوامل انتشار الثقافة العربيَّة بإلورن، تلك المصطلحات الإسلاميَّة الَّتي دخلت فيها مع الإسلام بلغته العربيَّة، وكذلك تأسيس المساجد في كلِّ قرية نزلوا بها للمكث، وإنشاء المدارس القرآنيَّة لتعليم الصغار، ومعاهد التعليم للكبار، ومنها الحروب الدفاعيَّة الَّتي قام بها الأمير عبد السلام بن الشيخ عالم (١٨١٣-١٨٤٢م)، ومن وليه من الأمراء إلى أن توقَّفت في عهد الأمير ماما (١٨٩١-١٨٩٦م). ومن تلك العوامل: الحركة العلميَّة والأدبيَّة الَّتي قام بها علماء الطبقة الثانية في عهد الأمير شئث، ومعظمهم العلماء المستقدمون في عهد الأمير عبد السلام إلى اليوم؛ كل ذلك في القرن التاسع عشر الميلاديِّ (الثقافيُّ، ٢٠٠٩م: ص ٢٣-٢٥).

وأمَّا في القرن العشرين، فمن العوامل الَّتي ساعدت على انتشارها: إنشاء المدارس القرآنيَّة والثانويَّة والكلِّيَّات والجامعات، وحركة الشيوخ المخضرمين، والعلماء المثقَّفين بالثقافتين العربيَّة والغربيَّة حتَّى العصر الراهن (الثقافيُّ، ٢٠٠٩م: ص ٦٣-٦٥).

ترجمة حياة الكاتب عبد العزيز محمَّد سلمان الياقوتيِّ

هو السيد عبد العزيز بن محمَّد بن سلمان بن عبد الله الياقوتيُّ من مواليد السبعينيَّات بالقرن العشرين في نيجيريا لأبوين إلورنيَّين كريمين، فنشأ وترعرع في كفالتهما. وتلقَّى القرآن الكريم سردا في كُتَّاب الراحل الشيخ محمَّد الثاني أَكَنْبِي أَوْلَوْسَن في حارة أَدَنْبا بإلورن، ثم بدأ رحلاته العلميَّة لدراسته العربيَّة النظاميَّة -بعد أن اقتبس نور القرآن الكريم والمدرسة الابتدائيةَّ الحكوميَّة- في دار السعادة للتعليم العربيِّ والإسلاميِّ أَوْنِكِيجِيبا-أَوْمَدا بإلورن، ونال شهادتي الإعداديَّة والثانويَّة بدار العلوم بتقدير ممتاز في عامي ١٩٩٧م و٢٠٠٠م. وحصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة بكلِّيَّة التربية والعلوم الإنسانيَّة (جامعة الحكمة حاليّاً) إلورن بتقدير جيِّد جدّاً عام ٢٠٠١م، ثُمَّ رافقه الحظُّ الأوفر بالمنحة الدراسيَّة من كلِّيَّة الدعوة الإسلاميَّة بمعهد اللغة العربيَّة والثقافة الإسلاميَّة في جمهوريَّة بنِين فحصل على شهادة الليسانس من جامعتها في أبَومَي كَلافي في اللغة العربيَّة وآدابها بتقدير ممتاز عام ٢٠٠٥م، ثُمَّ شهادة الدبلوم العالي في التربيَة بكلِّيَّة التربية الفدراليَّة في كَنُو عام ٢٠٠٦م، فشهادة الخدمة الوطنيَّة في كلِّيَّة التربية لولاية زَنْفارا، مَرُو عام ٢٠٠٧م، وفي الأخير شهادة الماجستير في اللغة العربيَّة وآدابها بجامعة ولاية نَصْراوا-كَيفِي بتقدير ممتاز عام ٢٠١٣م. وهو حاليّاً يعدُّ الدكتوراه بالجامعة نفسها منذ عام ٢٠١٧م (محمَّد الأوَّل في الياقوتيِّ، ٢٠١٥م: وقفات مع الكاتب الياقوتيِّ).

ويعتبر السيد الياقوتيُّ من أعلام الشاعريَّة العظيمة إذ أقرَّ بها عباقرة النقد وأساطين الشعر وعُشَّاق الأدب العربيِّ في سلسلة برامج مهرجان العقد الرابع من تأسيس مدرسة دار العلوم بإلورن، حيث أحرز قصب السباق في أمسيتها الشعريَّة عام ٢٠٠٣م، بالإضافة إلى ديوانيه المخطوطين: الصدى ووحي الخيال، ونشرت له مجلَّة الطريق في إلورن إحدى قصائده بعنوان "مع الصحابة"، وله قصائد أخرى في ديوانِ "البِنِينِيَّات" مجموعة قصائد الطلبة في معهد اللغة العربيَّة والثقافة الإسلاميَّة بجامعة أَبَوْمَي كَلافي في جمهورية بِنِين عام ٢٠٠٥م، كما نشرت له أيضا جامعة ولاية كُوارا قصيدته بعنوان "أيَّام الإجازات" في مجموعة حصاد المأدبة (الإصدار الأوَّل). ويشهد بكتابته العلميَّة مشاركته في ضبط تاريخ عمداء دار العلوم لجبهة العلماء والأئمَّة بإلورن بين ١٩٦٣-٢٠٠٠م تحت إشراف الفوج العاشر من خرِّيجي المدرسة. وأما كتابته الفنِّيَّة فمن شواهدها كتابه المخطوط: الضأن الأسود (قصة عربية فنية)، وكتابه المطبوع: عبرات الأمل (قصة عربية فنية) عام ٢٠١٥م.

وقد درَّس في دار السعادة للتعليم العربيِّ والإسلاميِّ أَونِيكِيجبا-أَوْمَدا بإلورن بين عامي ١٩٩٧-٢٠٠١م، ولا يزال مدرِّسا في كلِّيَّة الإيمان لافِيا بولايةَ نَصْراوا منذ عام ٢٠٠٧م، وفيها عُيِّن رئيس القسم العربيِّ بين عامي ٢٠٠٨-٢٠١٠م، وعمل محاضرا موقَّتا بمعهد التربية لجامعة أحمد بلُّو بِزارِيا فرع مدينة لافِيا بولاية نَصْراوا. (محمَّد الأوَّل في الياقوتيِّ، ٢٠١٥م: وقفات مع الكاتب الياقوتيِّ). ويحاضر حاليّاً بالجامعة الفدراليَّة، لافيا منذ عام ٢٠١٩م.

وقد تبوَّأَ شتَّى المناصب الإداريَّة الَّتي منها رئيس الشؤون الثقافيَّة لاتِّحاد الطلبة النيجيريِّين، وعضو فعَّال في أمانة المؤتمر الطلَّابيِّ في معهد اللغة العربيَّة والثقافة الإسلاميَّة, ونائب الرئيس لجمعيَّة طلبة نيجيريا بجامعة أَبَوْمَي كَلافي في جمهوريَّة بِنِين، كلُّها بين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م. وتمَّ تعيينه منسِّقا لبرنامج الدبلوم في كلِّيَّة الإيمان بلافِيا منذ عام ٢٠١٠م، ولم يزل مع ذلك عضوا فعّالا من هيئة الأدب الإسلاميِّ بإلورن منذ عام ٢٠٠٤م، بالإضافة إلى رئاسته كالمرشد العام لجاليات مدينة إلورن في ولاية نَصْراوا من عام ٢٠٠٨م. وله كذلك عضويَّة رابطة علماء يَوْرُبا في مدينة لافِيا (محمَّد الأوَّل في الياقوتيِّ، ٢٠١٥م: وقفات مع الكاتب الياقوتيِّ).

وأمَّا حركاته الدعويَّة فمنها حلقة تفسير القرآن الكريم الَّتي يقيمها بمدينة لافِيا في ليالي رمضان، ومزاولته الصحافة بصفةِ مراسلٍ غير منتظم بالقسم العربيِّ لصوت نيجيريا (V.O.N) منذ عام ٢٠١٢م (محمَّد الأوَّل في الياقوتيِّ، ٢٠١٥م: وقفات مع الكاتب الياقوتيِّ).

التعريف الوجيز بالسيرة الذاتيّة العربيّة «عبرات الأمل» وتلخيص مضامينها

هذا الكتاب «عبرات الأمل» سيرة ذاتيَّة للكاتب عبد العزيز محمَّد سلمان الياقوتيُّ. وقد كتبه عام ٢٠١٥م، وطبع بمركز المضيف في إلورن؛ ويحمل غلافه مزاج الألوان من بين الأصفر الغالب يخالطه الأبيض والأسمر، مع صور العين المدمعة للدلالة على العبرات، ومنارة المسجد والقرآن للدلالة على خصائص مدينة إلورن، يعلوهما شعار الإمارة. وفي الصفحات التالية هوية الكتاب كعدد الطبع الأوَّل وحقوق الطبع، ثُمَّ الإهداء وتقديم الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام للكتاب ثم فاتحة القصَّة.

وفي السيرة احتراف الكاتب بالحياكة ونساجة اليواقيت كعادة أسرة أبيه وبيع المسواك الَّذي كان من التجارة الَّتي تعوَّدتها أسرة أمِّه، ثُمَّ مراحله الثقافيَّة العربيَّة الإسلاميَّة بدار السعادة –أَوْنِيكِيجِيبا، ودار العلوم–إِسَلَيْ كَوتَو بعد مرحلته الابتدائيَّة الحكوميَّة، ثم كلِّيَّة الدعوة والعلوم الإنسانيَّة في أَدَيْوَولَي–إلورن حيث حصل على الدبلوم، فالتحاقه بالجامعة البِنِينِيَّة؛ وقد اعتبر الفتى ذلك الالتحاق سرورا مَسَحَ عبراتِ الأمل، وحقَّقَ الرؤيةَ بعد التقرُّب إلى الله بدعاء الصالحين. ومن الأحداث المفككَّة تنصيصه لبعض العلماء وأخبار الأعلام أمثال: الشيخ آدم الإلوريِّ والشيخ يحيى مرتضى أَغَودِي والشيخ سَمْبَو أَوغَنِجا والشيخ يحيى أَتَرابا.

ظاهرة الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة والإلورنيَّة في السيرة «عبرات الأمل»:

والظاهرة هي ما يدور الحديث حوله من وجهة النظر في الحياة (مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ٢٠٠٣م: ص ٤٠٢). وتكون الظاهرة عند الأديب ميله لاتِّجاه من الاتِّجاهات الدينيَّة والثقافيَّة وغيرهما أو انفعاله نحو شعور ما، ناقدا فيه أو مؤيِّدا له (صالحة، ٢٠٠٩م: ص ١٠). وفيما يلي استقصاء الظواهر الموجودة في السيرة كما سنبيِّنها إن شاء الله.

ظواهر الثقافة الإسلاميَّة

وتشمل هذه الظاهرة الدينيَّة العقيدةَ الإسلاميَّة من حيث أهميَّة التقرُّب إلى الله بالدعاء والصيام، والتداوي بالقرآن، والتخلِّي عن الإلحاد، ومزاولة الثقافة الدعويَّة الإسلاميَّة كالإفتاء، والتحلِّي بالأخلاق الطيِّبة، والثقافة العلميَّة العامَّة.

وفي السيرة «عبرات الأمل»، يغلب على رحلة الكاتب الحياتيَّة الطابَع الدينيُّ الإسلاميُّ، المتمثِّل في كلِّ ما ذكرنا من النقاط كما نجدها فيما يلي:

- **أهميَّة الدعاء والصيام**

لقد ورثت أمُّ نعيم من عمِّها مصحفَها الَّذي كانت تلازمه وردا وتقرُّبا إلى المولى العظيم، كما يبدو في قولها لابنها نعيم:

«نعم! الثقافة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة تعلُّما وتعليما ونسخا، مهنة الأجداد وتراث الآباء المقلِّبين في ظهور الساجدين، انظر سأريك من آثارهم! هذا مصحفي الَّذي كتبه لي عمِّي البرُّ بخطِّه اليدويِّ لمناسبة نكاحي، وقد فعل ذلك للسيدات قبلي...» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٦).

ومنه ظاهرة اهتمام الإمام والد زميله الَّذي كان يدعوهم إلى الدعاء الجماعيِّ، ظاهرة استظهاره للتقرُّب إلى الله بأسمائه العليا، الأمر الَّذي يطالب به كلُّ مسلم حقيقيٍّ مؤمن بربِّه القريب الَّذي يجيبه إذا دعاه، ويستحسن ذلك بأحسن الوسائل الَّتي تخلو من الإلحاد في أسمائه كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠، ولهذا وصف نعيم الإمام بقوله:

«وقد صادف حضور الأمير ومن معه في السفر وقت قراءة أسماء الله الحسنى الَّتي تعدُّ كنزا ثمينا من الكنوز الربانيَّة الَّتي يستقطب بها الإمام قائد الدعاء وجه ربِّه الأعلى، وما كان الله ليعاكس بها رغائبه» (الياقوتي، ٢٠١٥م: ص ٣٥).

ولا تخفى على نعيم وبقيَّة زملائه بدار العلوم؛ ظاهرة إيمانهم بفاعليَّة الدعاء إذ كانوا كما وصفهم:

«تفانوا في النسك الأسبوعي تالين القرآن الكريم منذ بداية السنة الأخيرة من المرحلة الثانويَّة، فتراهم في محاربهم وفي ملتقياتهم وفي أوقات فراغاتهم في الفصل -ليل نهار- رافعين أيدي المسألة وأكفَّ الضراعة إلى الله الصمد المجيب زرافات ووحدانا، بنيَّة تذليل الصعاب وتحقيق المآرب، بعون الله تعالى الَّذي ما خيَّب أمل المضطرِّين الراجين، وما ردَّ أكفَّ السائلين المتضرِّعين» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٤٨).

وكذلك يعلِّمنا الفتى فضائل الصيام التطوعيِّ رغبا ورهبا، وهو ظاهر في شأن الفتى نعيم وصديقيه يوم زيارتهم للحاجَّة العابدة الَّتي طالبتهم بالأكل فامتنعوا:

«فطلبت الحاجَّة الحجَّة من ذلك الصنع، وكان جوابهم أنَّهم كتبوا على أنفسهم صيام أيَّام معدودة، رهبا من الرسوب في الامتحان واستنصارا لنفقات ما بعده من الحفلة وغيرها، ورغبة في تكليل مساعيهم بالنجاح والتقدُّم بعد التخرُّج، والصيام -يا ترى- عبادة حقَّة، له حدٌّ صارم في نسف جبال همٍّ، وتقريب كوابل خير من عنان السماء على الأرض، ذلك لمن أدرك أسراره، وجرَّبه في بعض شؤونه الحياتيَّة على ثقل أحجامها، واستصعاب تحقيقها أو استبعاد نيلها» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٤٣).

ومن التربية الإسلاميَّة الَّتي زوَّجت به نعيما أمُّه، شأنها في نصح ابنها بملازمة بعض الآيات القرآنيَّة المختارة في ورقتها المتقادمة العهد حين يسافر نعيم إلى دهومي بقوله:

«...إذ أخرجت من أوراق أذكارها اليوميَّة ورقتين مكتوبتين بالخطِّ اليدويِّ، وعلى الورقتين أثر تقادم العهد، وفيها من الآيات الكريمة، فقدَّمتها إليه على أن يلازم القراءة منها في الصباح والمساء طيلة مكثه في داهومي، فلعلَّ الله يحدث بالآيات بعد ذلك أمرا» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٨١).

وقد قام نعيم بالأمر من أمِّه خير قيام حتَّى في يوم انتظاره لدوره في تسليم الأوراق، وكان قد فرض على نفسه صوما، مستحضرا بعض الآيات والأذكار، وخاصَّة ما قدَّمت له والدته قبل الرحلة، فتنصرم بها إلى الله تعالى، ليجعل النصر حليفه، والفوز رفيقه (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٠٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ اشتراط النسُك للدعاء ليس بمنظور الإسلام الموجب، إلَّا إذا كان في ودِّ المتقرِّب إلى الله القيام بالصلاة والنسُك والصيام وغيره كمجموعة شؤون يسترضى بها ربَّه؛ وهو ما أشار إليه الكاتب في ربيع الجمع بينها لا مشترطا مسايرة أحدها مع الآخر كما يظهر في قوله:

«وأما الاستعداد الرُّوحيُّ ففي أنَّه ذبح كبشا أقرن بعد سلسلة من أذكار وأدعية، مزاوجا بصيام أيَّام متوالية، فلا حرج في ذلك من المنظور الدينيِّ، فإنَّ الصلاة والنسُك لله ربِّ العالمين» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١١٢).

- **جواز التداوي بالقرآن والعقاقير**

ومنها اتِّجاه العقيدة الإسلاميَّة في جواز كتابة آيات قرآنيَّة مقصودة للشراب، والذي رخَّص فيه بعض السلف كابن تيميَّة وابن قيِّم الجوزية، ولم ير منه بأسا ابن باز والعلَّامة ابن وهف القحطانيُّ، وإن كان الأصل القراءة في الماء ثُمَّ الشراب، وهو السنَّة الَّتي ليس فيها خلاف، لكن لا يشدُّ النكير على الفاعل ولا يرمى بالبدعة، والله تعالى أعلم (الجوهريُّ، ٢٠٠٩م: ص ١١٣). وقد دعت الحاجَّة العابدة إلى ملازمة بعض الآيات وردا وشربا، كما ذكرها الكاتب على لسان الفتى نعيم بقوله:

«...وسأوتيكم آية من الكتاب تلازمونها وردا، وتكتبونها شربا، فستكون الآية بإذن الله من دواعي سرعة فهم وأسباب قوَّة ذاكرة، وعوامل إصابة في القول، وثَمَّة آية أخرى من سورة الطلاق ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ الطلاق: ٢ – ٣ فإن شاء الله تعالى تتيسر لكم النفقة على حوائجكم» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٢٥).

ومنه ظاهرة التداوي في الإسلام الَّذي لا خلاف فيه ما لم يضادَّ تعاليم الإسلام، وليس تداوي نعيم بالعقاقير وبعض الأعشاب المستوردة المحلَّة بحرام عليه، إذ لا بأس بشرب العقاقير الَّتي تكون من الأوراق والأشجار بعد طبخها أو بغير الطبخ، فيشربها المريض العليل أو يغسِّل بها (الإلوريُّ، ٢٠١٢م: ص ١٢٢)، كما يبدو في قوله:

«وأمَّا المرض فما زال يلعب دور عرقلة قوية في سبيله؛ ويتمثَّل حاجزا منيعا أمام التقدُّم، ونعيم يعارضه ويصارعه -بعد الاعتماد على الله الشافي- بالعقاقير على مشورة المجرِّبين المخلصين، وبعض الأقراص المستوردة بإشارة المتخصِّصين الدرَّاكين، ... وكانت أمُّه تقوم بإحضار العقاقير يغسِّل بها نعيم ويشرب منها» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٦٦ و١٤٢).

- **اجتناب التطيُّر والشعوَذة**

ومن أبغض الأمور المعاصرة ظاهرة تطيُّر كثير من المسلمين على الرغم من مزاولتهم الأذكار وصيام أيَّام معدودة كشأن نعيم، فإنَّهم يسندون الأحلام الَّتي ساءتهم إلى عيون الساحرين، أو إلى نفَّاثاتهم في العُقد أو إلى رباط الكهنة. وموقف الإسلام من ذلك، حتَّى ولو صدق ظنُّ المسلم فيه، فعليه الاستعاذة بالله بوسيلة بعض الآي والسور والأدعية النبويَّة كما ذكرها القحطانيُّ (١٩٦٨م: ص ١٠٦).

لقد استسنَّ نعيم بهذا الموقف الإسلاميِّ في أمره متريِّثا لتأويل حُلمه حتَّى لا يسنده إلى أحد المذكورين، واستظهر أخيراً أنَّه لون من وسادته الَّتي تذوب بحمرة كلَّما توسَّد بها، ومتى بلَّل يديه للوضوء ماسحا الرأس، ولولا ذلك التريُّث لقام بما ذكره في الكتاب:

«ولربَّما يؤدِّي الأمر إلى هجرة بيت والديه كذبا وبهتانا، أو يحرِّم عليه بعض المأكولات والمشروبات المبالغة بغيا وطغيانا» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٦٦).

وفي زاوية أخرى يجدر بالباحثَين ذكر بعض المتداوين الذي يسخِّرون غيرهم بالطلاسم أو يستعينون عليهم بالجنِّ أو الرقَى غير الشرعيَّة كما أخرجه أبو داود السجستانيُّ وابن ماجه في حديثي ٣٨٨٣ و٣٥٣٠ عن ابن عبد الله قال أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول:«إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» (القحطانيُّ، ١٩٦٨م: ص ٧٨).

وقد كبَّر الكاتب من شأن الطلاسم حين أعجب بدفع أحد معاريفه إليه بعض ديونه بعد طول الأمد، كما يظهر في قوله:

«فأخيرا دفع لنعيم بكل احترام بالغ ما عليه نقدا بعد التسويف مع الشكر والثناء المحمودين على سماحته إلى ميسرة، فكأنَّ نعيما سخَّره بطلاسم أو استعان عليه بجنود سليمان أن يأتوا به حيثما كان، ذلك أنَّ نعيما يستغرب من رؤية مصادفته في حالته...» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٧٣).

- **الثقافة الدعويَّة الإسلاميَّة**

ولم يزل الكاتب بشتَّى الجوانب الَّتي يستطيع بها الداعية المثقَّف بالعربيَّة تحقيق دعوته إلى الله حتَّى تبقى دعوته في حياته وبعد مماته، وذلك من خلال بيان الكاتب:

«وعلى أثر ذلك تتربَّع على أيديهم مشاعل الدعوة إلى الله عبر كتابات عربيَّة إسلاميَّة فنِّيَّة متميِّزة، كتابات ذات أهداف سامية متأصِّلة، وخطابات علميَّة ثمينة لها مغاز جليلة في قلوب المثقَّفين عشَّاق الإبداع الأدبيِّ المستنيرين» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١١٦).

ومن الثقافة العلميَّة الدينيَّة مقدرة أمِّ نعيم في الإفتاء، الأمر الَّذي تطالب به بقيَّة النسوة المسلمات كشأن أمِّه، ويبدو ذلك في قول الكاتب:

«وبقيَّة النسوة المسلمات يأتين إليها مستفتيات عن بعض القضايا الدينيَّة، ممَّا يمسُّ أداء فريضة الصيام قضاء، وجبر الصلوات قبليا أو بعديا، وفيما يخصُّ شؤون النساء الشهريَّة، وما يأتي عقبها من الغسل وقضاياه» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٥١).

ذلك أن لا بدَّ من تعليم الفتاة المسلمة لأنَّها المدرسة الأولى للأبناء، وهي بمثابة البلد الطيِّب الَّذي يخرج نباته بإذن الله ولا يستحسن نكادها وجهلها وبذاءتها الَّتي يخالطها القبيحة والفساد الكبير في المجتمع الإسلاميِّ. وقد ذكر النبيُّ فضائل تربية الفتيات المسلمات فقال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ (مسلم، د.ت. ٤: ٢٠٢٧، رقم ١٣٦٢)

- **تعليم الأخلاق الطيِّبة**

ومن ملامح استظهار نعيم للتعاليم الإسلاميَّة محاولته استبقاء العلاقة الطيِّبة بينه وبين زملائه بكلِّيَّة الدعوة بأَدَيْوَوْلَي، فكانت محاولته بالصبر وتبيُّن الأخبار المقصوصة عليه كما قال الكاتب عنه:

«... إنه لا يصبر أحد في شأن من الشؤون فتناله حسرة منه فالله أبدا مع الصابرين ولو بعد حين... وعلى هذا يتمنَّى استبقاء روح العلاقة الطيِّبة بينهم على خير مودَّة ورحمة، فكيف يسبِّب شيء غير واقعيٍّ مشكلة عويصة قد لا تعرف مداها» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٣٠).

- **الثقافة العلميَّة العامَّة**

ولا يزال الإسلام ينوه بالعلم وأهله فقال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١. وفي هذه السيرة تحتوي ثقافة نعيم العلميَّة على أهميَّة المكتبة، والتنصيص المركزيِّ المجوَّد، وقواعد النحو والصرف والجغرافيا وغيرها.

وأما الثقافة اللغويَّة والدلاليَّة العربيَّتان، فمنها تحبيذ نعيم لعلوم القواعد باختصاص الإعراب قبل التحاقه بدار العلوم وبعده، وقد بيَّن منافع الاستظهار منها، ومسالب التخلِّي عنها بقوله في الكتاب:

«...ولكان قبوله بعد المقابلة في السنة الرابعة، لولا إخفاقه في بعض الأوجه الإعرابيَّة، فالإعراب –يا ترى- جماع العلوم ومفتاحها الذي لا بدَّ من التزود به وامتلاكه للتوغل إلى حدائق العلوم والمعارف...» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٢٦-٢٧).

ومن مظاهر علم الصَّرف ذكره «دَرْعَمِيّ» نسبة إلى الطالب من دار العلوم، فقام بنحت المضاف والمضاف إليه، حيث أخذ الدال والراء من اللَّفظ الأوَّل، والعين والميم من الثاني، ثم زاد ياء النسبة إليهما. ومنٌّ صورة ذكره «قمريّ» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٦٨) نسبة إلى صديق له من جزر القمر الَّذي هو قطر عربيٌّ إفريقيٌّ، يتكوَّن من جزر تقع في المحيط الهنديِّ، محصور ما بين أرض قارة أفريقيا غربا، وجزير موغشق شرقا، أي إنَّها تقع عند المدخل الشماليِّ لمضيق موزمبيق. وقد طبَّق في صياغة الاسم المنسوب إليه قاعدة الاستغناء بالمضاف إليه دون المضاف (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٠٠).

ومن الثقافة اللغويَّة ظاهرة العاميَّة الَّتي ورثها كثير ممن درسوا بالأزهر الشريف، حيث أنَّ المصريِّين قد آثر كثيرهم العاميَّة على الفصحى، ويحاول زوَّار بلادهم معرفتها للعلاقة التعبيريَّة الَّتي تجري بينهم. ولم تخْفَ هذه الظاهرة على لسان أحد الإخوة النيجيريِّين الَّذين درسوا بالقاهرة، وكان يحبِّذ نعيما وأصدقاءه على أمر التقدُّم بعد الثانويُّة، كما يبديه الحوار بينهم أن استخدم (ماليشْ) لمعنى: لا مشكلة واسمع.

أهلا وسهلا بكم يا أحباب! كيف الدراسة بدار العلوم؟

انتهينا من الدراسة الثانوية!

انتهيتم، ما شاء الله... الحمد لله، ما شاء الله تبارك الله، فماليشْ! (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٥٩).

وتبدو ظاهرة الدلالة اللغويَّة المتباعدة بين الدولتين النيجيريَّة والبنينيَّة في لغة يَوْرُبا فيهما، والَّتي بيَّن الكاتب على لسان نعيم عددا من الأسباب الدافعة إليهما كمثل الفتاة بائعة الأقراص إلى حدٍّ ما يظهر في قوله:

«وأما الفتاة بائعة الأقراص، فهي لم تفهم كثيرا مما يعنون من خلال محادثتهم معها؛ من أجل اختلافات في دلالات بعض الكلمات، من حكم تباعد البيئة بين الدولة النيجيريَّة والجمهوريَّة البنينيَّة، فتلك بالنسبة إلى بعض الكلمات في لغة يَوْرُبا فيهما على إثر المؤثِّرات الخارجيَّة والداخليَّة الَّتي تلعب فيها دورا كبيرا في خلق التنوُّع المعنويِّ للكلمة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٠١).

هذا، ومن أدلَّة الاحتجاج السالف، تمثيل نعيم تركيبَين يورُبَويَّين يختلف مقصودهما في الجمهوريَّة البنينيَّة عمَّا يكون المقصود في نيجيريا كقوله:

«وأمَّا الحديث عن اللهجة اليَوْرُبَويَّة الَّتي احتار فيها فهم نعيم، فقد حاول مشافهة أحد البنينيِّين من قريب عن معنى تلك العبارة (حملتُه للرقص) فأخبر نعيما أنَّه يقصد بها (سلِّم أوراقه Mo Gbe Jo)، وقد ضرب له بمثال آخر أنَّهم يقولون (نِعمَ الحمل Eku Oyun) تهنئة لنجاح الإنجاب» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٠٥).

ويحيطنا الكاتب علما بأهميَّة حسن الاستغلال لفرصة الاطِّلاع الواسع على الكتب بالمكتبة لما فيه من الاستزادة، إذ أفاده رجوع وحيد شيخ الكتَّاب من أغيغي كما وصفه نعيم:

«وقد أفاد رجوعه نعيما إفادة جمَّة وجميلة؛ إذ فتح له مكتبته الخاصة، يقرأ منها حينا، ويستعير منها الكتب المقرَّرة حينا آخر كلَّما انتقل من فصل إلى آخر، وكم استنسخ زملاء نعيم منه بعض هذه الكتب المقرَّرة، وغالبا ما تكون لديه نسخة أصليَّة واضحة منقَّحة» (الياقوتيَّ، ٢٠١٥م: ص ٣٠).

ومن ثقافة نعيم العلميَّة حسن معرفته للقواعد التجويديَّة والتنصيص المركزيِّ الَّذي أصَّله العلَّامة آدم عبد الله الإلوريُّ. وقد نال بها نعيم نصيبه كما ذكره في قوله:

«... قد عيِّن فيها نعيم من القرَّاء منصِّصا الآيات القرآنيَّة، منذ أن اكتُشِفَتْ أصالة صوته المركزيِّ الأصيل الرنين، وآمنوا بمقدرته التجويديَّة الواعية على هدى من التجارب الَّتي حصدها في الدراسة المسائيَّة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٣١).

وحبَّذا شأن نعيم في اهتمامه بالاستزادة من العلم، لا أن يقف على العلم الأبتر، فلم يثابر على التدريس به عاكفا، لما رأى في منع ذلك للمواصلة والتحصيل، وقد وصف مفاسد العلم الأبتر وأهله بقوله:

«...العلم الَّذي يشوِّش به طائفة من الدجَّالين على المجتمع البشريِّ وهم الجهَّال في الدرجة العليا، وبزينة الحياة الدنيا وزخارفها يتغطرسون على العلماء الدَّرَّاكين! ومن المحقَّق أنَّه يحترس من فتنة العلم الأبتر ويجوِّر، مثل ما ينفِّز من خطورة من قرأ كتابا واحدا لما فيها من الفساد الأكبر، ولم يجادل الجهَّال ذوو الرؤية الضيِّقة مَن فوقهم في العلم والمعرفة والإدراك، أو يعارضون من أحرز قصب السبق في البيان والتحليل مشاكسين بلا هدى ولا كتاب منير...» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٦٦-٦٧).

ولعلَّ الكاتب يحيطنا علما من سيرة نعيم بمستويات المقابلة الشفهيَّة، من الأمور الَّتي تدرس في المقابلة ويمتحن لها. ولعلَّ ذكرها يفيد الآخرين بتفصيل مدقَّق محنَّك لها:

«تجفَّحت الأسئلة الشفهيَّة لصاحبنا نعيم أمام لجنة تكوَّنت من أربعة أعضاء، عضوٌ أنيطت على عاتقه جرأة الطالب وبداهته في التجاوب معهم، وعضو كان هدفه في سبر أغوار الطالب من الناحية الثقافيَّة العامَّة، وعضو غايته في حسن تنسيق الطالب وبلاغته في

التعبير، وعضو مهمَّته تكمن في فحص سيكولوجيَّته انضماما إلى بعض المقاييس الدقيقة الَّتي وضعت» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١١٠).

ومن مجموعة الثقافة العامَّة إقرار الكاتب بيضويَّة الأرض الَّتي قد أنكرها القدامى مسيئين فهم قوله تعالى في عديد من الآيات القرآنيَّة بأنَّ الأرض هو الَّذي دحاها وطحاها وفرشها ومهدها، إلَّا أنَّ الإلوريَّ (١٩٨٩م) بيَّن في كتابه (الجغرافيا والتاريخ: ص ٤) بأنَّ ذكر ذلك لمواقعة سياق خطابه لعقول المخاطبين، من علمه تعالى بصغر حجم الناس على الكرة الأرضيَّة كالذرَّة على الكرة؛ لكنِ الأرض كرويَّة بيضاويَّة لاختلاف مطالع الشمس ومغاربها واختلاف فصولها ومناخاتها وطقوسها وليلها ونهارها، ولذلك أعجب الفتى الكاتب ببدائعها في قوله:

«تظل بيضويَّة الأرض مستقرَّ بني البشر إلى حين، وقد سخَّر الله لهم معادنها البرِّيَّة والبحريَّة، وكانت المناظر الطبيعيَّة... تبهر العقول بنفحات كمالها، وتدهش الانطباعات ببدائع جمالها... وفيها ترى الجبال ضخمة شامخة، والبحار ساكنة طامية متموِّجة، والأرض منطوية صامدة، والنجوم ساطعة مرفوعة مضيئة، فبالشمس والقمر تتزيَّن السماء بشروق أنواء وشعاع أضواء، فيستفيد بهما بنو البشر لتعداد الحساب على تعاقب العمران» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٨).

ظواهر الثقافة الإلورنيَة النيجيريَّة

وتتنوَّع هذه الثقافة إلى الدين والرحلة العلميَّة والدعوة الإسلاميَّة والأدب الشعبيِّ الإلوريِّ واللغة الشعبيَّة البنينيَّة. ومنها الحضارة الَّتي تعتبر المغزي الَّذي يمكن فيه الكاتبَ اطِّلاعُه على بعض معالم الحضارة ورقيِّها والعمران ورونقه.

وأمَّا الرحلة العلميَّة الَّتي قام بها الفتى نعيم للتحصيل في جمهوريَّة بِنين فهي وسيلة تربويَّة ناجحة وقديمة قِدَمَ التربية نفسها، بل هي سبيل إلى تكميل بناء الشخصيَّة، لما فيها من الاحتكاك الثقافيِّ والتوجيه التربويِّ خلال اللقاءات والمصاحبة (ابن خلدون، ٢٠٠٤م: ص ٦٩٣) أو من الوالدين وأفراد السادة والزملاء.

وتُحصَّل الثقافة العلميَّة من الرحلة الَّتي لا بدَّ منها في طلب العلم لأسباب الفوائد والكمال بلقاء الشيوخ ومباشرة الرجال (يوسف أحمد، ٢٠٠٠م: ص ١١٢-١١٣).

وفي السيرة «عبرات الأمل» تشمل هذه الظواهر تاريخ إمارة إلورن وألعاب الصبا، والحِرَفة والصناعة، والرقيَّ العلميَّ والدعويَّ والحضاريَّ، وظاهرة الوليمة وأنشودة واكا، والأدب الشعبيَّ في إلورن وفي جمهوريَّة بِنين؛ وبيان كلِّها فيما يلي:

- **تاريخ إمارة إلورن وألعاب الصبا**

ومن مظاهر التاريخ ذكر سبب تسمية الديار الإلوريَّة بالحوادث المناسبة، ومنها عزو بكاء نعيم إلى شأن أجداد أبيه المنتسبين إلى أسرة أَوْجُوعَيْكُن أو نسبة تسرُّع البكاء إلى عين والده الجريء من قديم الزمان كقوله على لسان الحضور يوم بكائه في حفلة الشهادة:

«منهم من قال: كيف لا يبكي وأبوهِ –كما تعلمون– خفيف الروح سريع البكاء، أتنسون بكاءه الشديد في مطار إلورن الدوليِّ يوم رحلة أبيه (جد نعيم) إلى الحج؟ ومنهم من قال: يجب أنه يبكي، وقد عرفتم انتساب أسرة أبيه الكريم إلى دار قيل أَوْجُوعَيْكُن (وجه البكاء) البرناويين في إلورن» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٥٣).

وكذلك مظهر أشهر الألعاب الَّتي كان يتعاطاها صغار إمارة إلورن كغيرهم من الصبيان، ومنها ركوب الدرَّاجة الدمويَّة وكرة القدم، وإن كان نعيم لا يجيد الأوَّل في أوائل صباه كقوله في الكتاب:

«وممَّا له حق الجدارة بالذكر ذلك الحين، أنَّ الجدَّ والمثابرة من نعيم على شغل بيع المسواك وشدة مراقبة الأسرة إياه، منعته وصدَّته عنَ بعض اللعبة الَّتي اعتادها مع قرنائه في الحارة؛ إذ لا يجيد ركب الدرَّاجة الدمويَّة إلا بعد ما ناهز العشرين عاما من عمره، فأما لعب الكرة فقد كان يمارسها منذ أيَّام بيع المسواك، وعرف بها عند بعض أولاد أحياء المدينة، وكم انكسرت الزجاجات الأماميَّة للسيَّارات من ويل جرياته الكرة؟ ضربات تتفجَّر رعودها من رجله اليسرى، وكم مارس من لعب الكرة معاقبا ومرينا في بعض الأقايس؟ وكم حرَّر نعيم نفسه من ربقة ذلك بالدفع بماله الخاصِّ؟» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٧).

- **الرقيُ العلميُ والدعويُ بإمارة إلورن**

ومن هذا المنطلق، ندرك تاريخ المساهمة الَّتي قد تقوم بها إمارة إلورن منذ إشراقها بنور ربها، أن انتشرت الثقافة العربيَّة والحضارة الإسلاميَّة في بلاد يَوْرُبا على أيدي رجالها الأعلام الوافدين إليها من شتى القبائل الَّتي معظمها من بلاد نُوبَي وهَوُسا وبربر وبرْنُو وغيرها (جِمْبا، ٢٠١٩م: ص ٩)؛ ولم تزل الإمارة على هذا العمل في نشر الدعوة والثقافة كما يظهر في قول الكاتب على لسان نعيم:

«تلك البيئة المباركة الَّتي لا شرقيَّة ولا غربيَّة، وقد عظم جدُّها عرفانا، وجلَّ قدرها إيمانا، وطاب بحرها إحسانا، وساغت فيها الإقامة أمانا، وهي قد عاشت مركزا للدولة الإسلاميَّة الزاهية لجنوب البلاد وما جاورها، ولم تزل مرتعا خصبا لشداة العلوم بكنوز الثقافة العربيَّة الثمينة، ومنطلقا أمينا لمآثر الدراسات الإسلاميَّة الرشيدة، فما أحسن موقعها الجغرافيَّ من بين عواصم الشمال توسطا وتلاحما، وما أكرم شراء ثقافة سكَّانها تنوُّعا وتعدُّدا، وهم جميعا على هدف سام وفريد، ويمثِّل الهدف في غرس الحضارة الإسلاميَّة المجيدة، وفيها تترفرف ألوية الإيمان دفَّافا، على عناد المعارضين المعتدين، فما مسَّهم

من أجل تمسُّكهم بالشعائر من نصب، وما مسَّهم على حفاظ بيض الإسلام من لغوب» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١١٦).

ولا يُنسَى تاريخ دار العلوم الَّتي تمَّ تأسيسها على يد أمير إلورن التاسع الشيخ ذي القرنين محمَّد الغمبري بالتعاون مع جبهة العلماء والأئمَّة، ولم يبخل الكاتب بطموحات الإلوريِّ الَّذي كان وكيلَ الأمور الإداريَّة والتعليميَّة لها، ومن تلك الطموحات حسن موكبه فيها حتى تلتحق مع ركب دار العلوم بالقاهرة، فيقول الكاتب:

«... فأعزز بمدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمَّة قلعة علمية شابهت بأهداف تأسيسها وتصميم مغازيها بدار العلوم في مصر أرض النيل العريقة العتيقة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٢٦).

ولم يزل الكاتب يذكِّرنا على لسان نعيم ميادينَ الأعلام العباقرة القدامى الذين بهم يقتدي الأديب المثقَّف، وسيهتدي إلى سواء السبيل وإلى رافقة توفيق من الله ممثِّلاً الإلوريَّ أحدَ مَن اتَّخذوا سبيلَ أولئك في إحياء تراث السابقين فقال:

«فنعيم قد اختفى بقرب حيِّه من بيت أحد عمالقة الفنون المعاصرة وأساطين العلوم المفدَّى، شخصيَّة شهد العرب والعجم بسبق أقدامه في فنون اللغة العربيَّة وآدابها، وله رؤية حصيفة وصائبة في تسديد خطا الثقافة الإسلاميَّة إلى الأمام... المتَّخذ ابنَ خلدون أمثولةً في التاريخ، والإمامَ السيوطيَّ أنموذجا في التأليف، والغزاليَّ قبلةً في الفلسفة، وحسَنَ البنا قدوةً في الجهاد، وأحمدَ بلّو سرْدَونا إماما في السياسة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٨).

وإلى جانب ذلك يحيطنا الكاتب علماً بأنَّ الإلوريَّ قد ابتدأ توجيهه الدعويَّ بحارة أَوْمَدا، ولذا رشَّح أحدَ ربائبه الَّذي أَذِن له بالإقامة في إلورن وبتأسيس مدرسته، كما صار تاريخ المناسبات حضوره لعديد من الأمسيات العلميَّة والأدبيَّة فيما عقدها أبو الطلبة في أَلَوْرَي-إلورن، ويحيى مرتضى في أَغَوْدِي بإلورن، وحفلة الترحُّم على روح الشيخ سمبو ألانَمُو، والدعاء لسَرْكِن مالَمي الشيخ أَتَرابا، كلُّها بعد مجلس الدعاء لروح شيخه أَيْس نِيَوْبوا في فِناء مسجد ألاوُسا-إلورن، والترحُّم على روح نائب رئيس الدولة السابق عبد الباقي إِدِعابَنْ، وروح الشيخ أبي بكر المسكين بالله، ويوم حفلة ترقية تلميذه البروفيسور دَيْرَيْمِي أَبي بكر (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٩-٢٤).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإلوريَّ تُوُفِّيَ عام ١٩٩٢م ويستحيل حضورُه مجلسَ الترحُّم على روح إِدِعابَنْ المتوفَّى عام ١٩٩٩م، فكان الحاضرون هم أبناء الإلوريِّ وتلاميذُه.

ظاهرة الوليمة وأنشودة واكا الشعبيَّة في مدينة إلورن

ولم يكن حفاظ إمارة إلورن على الثقافة العربيَّة والحضارة الإسلاميَّة في نشرهما ببلاد يَوْرُبا فحسب، بل عنيت بتعويد أبنائها لتنويههم بالقرآن الكريم تعلُّما وتعليما،

وتثقيفا بدروسه، وتحبيذا لمجده، كظاهرة الوليمة الكبرى المناسبة لحفلة زفِّ البنات إلى أزواجهنَّ، وعقد جلسات توجيه الرجال إلى حقوقهم تجاه زوجاتهم. ويا روعة الوليمة الكبرى كما وصفها الكاتب بقوله:

«أمَّا المحتفِل فتراه في رداء سَنْيَنْ على الطراز المحلِّي النفيس والفريد، وعلى رأسه عمامة متوسِّط حجمها، وفي جوفها قلنسوة في صورة الأهرام الشامخة... وبيده ذلك اللوح المزخرفة أطرافه بنُحاس على القبَّة المحلِّيَّة الشائقة الرائعة... وهو في أخلاط الحفل يلتفُّ حيالَه الأهل من جهتي الأب والأمِّ، وطائفة من الأصحاب والأحباب... تبرُّكا بالقرآن الكريم وتعظيما لربِّه العزيز الحكيم... والحفل يشتمل على جماهير في الميادين العديدة على المستوى الثقافيِّ والعلميِّ والاجتماعيِّ والروحيِّ.... وأما نساء الأسرة في مشاطرتهن فرحَ الوليمة فتراهن مسرورات بعد إتمام القراءة من قِبَل صاحب الوليمة بلا خلل، وقد أُمِرْنَ بتغطية عوراتهنَّ فتغمر أعراف الحبور ونفحات السرور أعضاء الحفل فرحين مستبشرين... فيُنشِدْنَ واكا من روائع الأدب الشعبيِّ الإسلاميِّ، ناصباتِ ثياب أو قمصان لاستجلاب النقود من حضور الحفل، وما ذلك إلا رمز لإبداء آيات الشكر الكبير والنعمة العظيمة على المحتفل وأُسَره، بتدفُّق الصدقات وتقديم الإحسانات إلى العلماء الأوفياء في مجلس الوليمة، وقد سبقها من خلال واكا الشعبيِّ الإلوريِّ الإسلاميِّ» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٤٥-١٤٧).

وفي الحقيقة لا تُرمَى هذه الثقافة الإلورنيَّة بالبدعة علماً بأنَّها موروثة من آثار الصحابة، إذ ذبح عمر بن الخطاب شاة بعد إتمام حفظ سورة البقرة محتفِلاً بتلك النعمة الكبيرة (الإلوريُّ، ٢٠١٢م: ص ٣٦).

ولا تخفى فاعليَّة شعر واكا من الثقافات العلميَّة والأدبيَّة الإلوريَّة في تهنئة المحتفل بوليمة القرآن وترغيب الآخرين في معرفة أهميَّة التنويه بمجد القرآن. ويعتبر واكا أغنية شعبيَّة إسلاميَّة تختصُّ بها مدينة إلورن وتُنشِدها عند وليمة ختم قراءة القرآن والنكاح دون عامَّة أناشيد واكا التي يقولها الوعَّاظ منذ القديم في البيئة اليَوْرُبَويَّة في حلقاتهم الوعظيَّة (جِمْبا، ١٩٩٧م: ١٢). وفي مفهوم الوليمة والنكاح ذكر الكاتب بأن واكا:

«...مِن روائع الأدب الشعبيِّ الإسلاميِّ... الَّذي هو رمز الإبداع لآيات الشكر الكبير والنعمة العظيمة على المحتفل صاحب الوليمة وأسره...» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١٤٦-١٤٧).

- **الرقيُ الحضاريُ في إمارة إلورن:**

وأمَّا ما يمسُّ الاحتراف من تلك الحضارة فهو قول الكاتب مستعيداً القرَّاءَ إلى تاريخ اعتناء القدامى بالاكتساب حتى لا يجْنُوا إلا من الحلال كمثل الحياكة الَّتي يزاولها عمُّه أَينْلا، ونساجة اليواقيت الَّتي يحترفها أسرته الكريمة مع الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، كما نفهم ذلك من قوله:

«وبنَوا بالحياكة أقدم طابق في الحارة من فضل نجاح التجارة... وذلك إلى جانب ممارستهم لمهنة نساجة اليواقيت... وإن كان يريد ترك بيع المسواك الَّذي كان من التجارة الَّتي تبنَّتها كثيرات من متزوِّجات أسرة أمِّه الفاضلة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٩-١١).

فالحياكة هي الثقافة التي احترف بها نعيم، وقد تبوَّأَ بها آباؤه مكانا شاهقا في قلوب الخيار في أواسط بلاد يَوْرُبا، ولا بدَّ للمسلم أن يتزوَّد من العمل لأن نبيَّ الله داؤد كان يأكل من عمل يده، كما ذكره لنا الحديث النبويُّ، وهذا صاحب السيرة الَّذي:

«قد احترف بالحياكة... الَّتي بنَى بها أجداده وآباؤه أقدم طابق في الحارة من فضل نجاح التجارة وسعادة كدِّ الكسب، فذلك إلى جانب ممارستهم لمهنة نسج اليواقيت الَّتي تتزيَّن بها النساء المتزوِّجات، وطائفة من أقيال بلاد يَوْرُبا منذ أيَّام أمجادها الراهنة» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٩).

وأمَّا الحديث عن بيع المسواك فكان نعيم قد باع المسواك لمدَّة قليلة قبل تركه لبيع المسواك الَّذي يحتاج إليه أهل إلورن خاصَّة في العهد القديم، حتى عند بعض البقيَّة من كبارها في العصر الراهن، ولا بأس ببيعه وإن كان نعيم يرى سلبيَّته للاهتمام بالثقافة العربيَّة الَّتي يقصد الالتحاق برَكْبِها من أثر التجوال الكثير لبيع المسواك، ولكنه لم ينكر منفعته كما يبدو في قوله:

«فالأوَّل أنَّه يريد أن يترك بيع المسواك الَّذي كان من التجارة الَّتي تبنَّتها كثيرات من متزوِّجات أسرة أمِّه الفاضلة وبناتها الكريمة منذ أمد بعيد» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ١١).

وكذلك وصف نعيم لحضارة إمارة إلورن من حيث بناء مكتب الصحافة والإعلام فيها إلى جانب إيراد الكتب الكثيرة إليها اعتباراً بكونها من البلدان الراقية في نيجيريا، وكان يطبِّق تعلَّمه نظريا عند معلِّمه الدهليزيِّ على التِّلْفَزة والإذاعة منصِّصا، فنال بذلك شجاعة خطاب الجمهور كما قال:

«تربَّى نعيم عند المعلِّم الجليل على الدراسة النظريَّة والتطبيقيَّة معا، فالنظريَّة على صفحات الكتب العلميَّة قراءة وترجمة، والتطبيقيَّة في جلسات الوعظ والإرشاد على شاشات التلفاز، وهواء الإذاعيَّات الولائيَّة، وفي النوادي والقاعات على اختلاف الحارات، في تباين الموضوعات والمناسبات، فلم يصبها في التنظير فُتور، ولم يعتوره في التطبيق عُثور» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٢٥).

ومن مظاهر الحضارة العمرانية أيضا دولة إمارة إلورن الإسلاميَّة التي استدعت التنفيذ السياسيَّ والترتيب الإداريَّ لأمور الرعيَّة حتَّى أتباع الأمير الَّذين حفتْهم شخصيَّة الإمارة في أريافها كما ذكره نعيم:

«... فدخل الأمير وأمامه ووراءه عدد من عساكره في أعيادهم الرسميَّة المتلوِّنة بما فيها أخضر وأحمر وأصفر، ولعلَّ الأخضر بالنسبة لهم إشارة للطبيعة الإنسانيَّة العادلة في حين، ولربَّما يقع الأحمر دلالة على القوَّة والفداء في حين آخر» (الياقوتيُّ، ٢٠١٥م: ص ٣٥).

الخاتمة

استطاع الباحثان دراسة السيرة الذاتيَّة العربيَّة بعنوان «عبرات الأمل» للكاتب «الياقوتيِّ» قصدَ تسليط أضواء على ظواهرها الفكريَّة الَّتي تمثِّل الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة الَّتي ورثتها إلورن واستتبَّت بها دولتها الإسلاميَّة إمارة وشعبا.

وظهر من خلال الدراسة أنَّ الكاتب «الياقوتيَّ» كان ذا مقدرة علميَّة وملكة فنِّيَّة في وضع سيرة حياته في مغامراته التعلميَّة والتعليميَّة على الإطلاق، متأثِّرا بالثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في بيئة إمارته الإلورنيَّة. وذلك دليل علي إسلاميَّة فنِّه الروائيِّ المطالب به كلُّ مسلم كامل الإيمان وسابق بالخيرات بإذن الله.

ويقترح الباحثان اختيار هذه السيرة لطلاب العربيَّة ودارسيها في المعاهد والكليات والجامعات –الَّتي تُدرس فيها العربيَّة– ليطَّلعوا على حوادثها فيكتسبوا تجارب صاحبها، بالإضافة إلى ما احتوت عليه السيرة من القضايا الدينيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والإصلاحيَّة؛ وعلى الله قصد السبيل.

المراجع

Ahmad-Ikokoro, Abubakr al-Fulaniyy al-Iloriyy. 1991. *Akhbar al-Qurun Min Umara' Baladi Ilorin* (Tahqiq: Adam 'Abdullah al-Iloriyy), t1. Agege Lagos: Matba'at ath-Thaqafat al-Islamiyyat.

Baba-Oye, Ishaq Ayyub. 2019. *Walimah al-Qur'an fi Imarah Ilorin.* t1. Ilorin: Markaz al-Huda li ath-Thiba'ah wa an-Nasyr, wa at-Tawzi'.

Ibn Khaldun, 'AbdurRahman Muhammad. 2004. *Al-Muqaddimah.* t1. Al-Qahirah: Dar al-Fajr.

Al-Iloriyy, Adam 'Abdullah. 1965. *Mu'jaz Ta'rikh Nayjiriya*, t1. Beirut: Dar Maktabah al-Hayat.

Al-Iloriyy, Adam 'Abdullah. 1978. *Al-Islam fi Nayjiriya wa asy-Syaikh 'Utsman bin Fudi al-Fulaniy*. t2. Agege-Lagos: Mathba'ah ats-Tsaqafah al-Islamiyyah.

Al-Iloriyy, Adam ‘Abdullah. 1989. *Al-Jaghrafiya wa at-Tarikh*. t1. Agege-Lagos: Mathba‘ah ats-Tsaqafah al-Islamiyyah.

Al-Iloriyy, Adam ‘Abdullah. 2012. *Al-Islam Wataqalid al-Jahiliyyah.* t3. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

Al-Iloriyy, Adam ‘Abdullahi. 2012. *Nizham at-Ta‘lim al-‘Arabiy Watarikhuhu fi al-‘Alam al-Islamiy*, t3. Beirut: Dar al-‘Arabiyyat lit-Tiba’at wan-Nashir.

Jimba, Masyhud Mahmud Muhammad. 1997. *Waka Ilorin: Syi‘r Islamiy Sya‘biy.* t1. Ilorin: Mathba‘ah Alabi Jimba lin-Nasyr wa at-Tawzi‘.

Jimba, Masyhud Mahmud Muhammad. 2015. *‘Ulama’ al-Imarah*. j1, t1. Al-Qahirah: Dar al-Fikr al-‘Arabiy.

Jimba, Masyhud Mahmud Muhammad. 2019. *‘Ulama’ al-Imarah.* j2, t1. Al-Qahirat: Dar al-Fikr al-‘Arabiy.

Al-Jawhariy, Nafi‘u Ahmad. 2009. *Shawa‘iq ar-Rahman ‘Ala as-Saharat al-Kuhhan.* t1. Ilorin: Mathba‘ah Abi Habibah.

Majma‘ al-Lughat al-‘Arabiyyah bil-Qahirat. 2003. *Al-Mu‘jam al-Wajiz*. Mishr: Wazarah at-Tarbiyah wat-Ta‘lim.

Al-Qahtaniy, Sa‘id bin Wahf. 1968. *Ad-Du‘a wa al-‘llaj bi ar-Ruqa min al-Kitab wa as-Sunnah.* t11. Ar-Riyad: Maktabah al-Malik Fahd al-Wathaniyyah.

Al-Qur’an al-Karim (Riwayat Hafs bn Sulaiman bin al-Mughirah al-Asadiy al-Kufiy).

Salihat, Muhammad Hasan Mahmud. 2009. *Ittijahat asy-Syi‘r al-Falastiniy ba‘da Osilo: Dirasah Naqdiyyah.* Bahts al-Majastir. Gazzah Falasthin: Qism.

As-Suyuthiy, Jalal ad-Din. 1981. *Al-Jami‘ ash-Shaghir fi Ahadits al-Basyir an-Nadzir.* t1. Beirut Lubnan: Dar al-Fikr.

Ats-Tsaqafiy, ‘Utsman ‘Abdus-Salam Muhammad. 2009. *Tarikh al-Adab al-‘Arabiy fi Madinah Ilorin.* t2. Al-Qahirah: Dar al-Fikr al-‘Arabiy.

Al-Yaqutiyy, ‘Abdul ‘Aziz Muhammad Salman. 2015. *‘Abarat al-Amal.* t1. Ilorin: Syarikah al-Mudif li ath-Thiba‘at wa an-Nasyr.

Yusuf Ahmad, Hawalat. 2000. *Al-Hayah al-‘Ilmiyyah Fi Afriqiyyah*. j1, t2. Beirut: Dar Maktabah al-Hayah.